المحاضرة (09): التفاعلية الرمزية عند جورج هربرت ميد

ظهرت التفاعلية الرمزية* بظهور النزعات الاجتماعية السلوكية أو ما يعرف بالنزعات الاجتماعية النفسية، كمدرسة شيكاغو أواخر القرن التاسع عشر، وتمتد جذورها إلى المذهب البرجماتي الذي أبرز صفاته التجريب، وقبول الخبرة الإنسانية العادية كمنبع نهائي وامتحان أخير لكل معرفة وقيمة، وقد ظهرت بصورة أكبر عند ضعف الوظيفية وازدياد مشاكل المجتمع الأمريكي. **(معن خليل عمر: 1978، ص71)**.

1-التعريف بالتفاعلية الرمزية:

ترجع جذور التفاعلية الرمزية إلى أعمال "ماكس فيبر"، ويشير مصطلح التفاعل الرمزي إلى: "ذلك التفاعل الذي يأخذ مكانه بين الناس من خلال الرموز ومعظم هذا التفاعل يحدث على أساس الاتصال القائم وجها لوجه، لكنه يمكن حدوثه بأشكال أخرى، كالاتصال الرمزي الذي يحدث بينك وبين المؤلف عندما تقرأ جملة له، ويحدث أيضا عندما تطيع أو تخالف الإشارة الضوئية وإشارة عدم التجاوز. **(عامر مصباح: 2010، ص247)**.

و"يعتبر علماء الاجتماع التفاعليين أن الواقع الاجتماعي يتم بناؤه انطلاقا من أفعال وردود أفعال يجنيها الأفراد في أوضاع معينة، عن هذه السياقات الخاصة والسلوكات، إنما هي مجموعات ذات دلالات مقترنة بتمثلات وخاضعة دائما إلى تأويلات."**(دانيال كلود إيشودميزون: 2010، ص69)**.

وكان أول من أطلق تعبير "التفاعلية الرمزية" هربرت بلومر Herbert Blumer من خلال جملة من الفرضيات التي صاغها عن عملية التفاعل **(خالد حامد: 1429هـ-2008م، ص123)**، وتؤكد التفاعلية الرمزية على أهمية المعاني الرمزية للاتصال بما يشمله من لغة وإيماءات وإشارات **(مايك أودونيل وآخرون: 2002، ص57)**، وقد ظهرت على يد "**جورج هربرت ميد**"** G. Mead" في كتابه "العقل والذات والمجتمع"، فالفرد في تفاعله مع الآخرين يكون صورة ذهنية أو رمزا عن كل تفاعل معه، وهذا الرمز قد يكون محبب أو غير محبب وطبيعة الرمزالذي أعطاه الفرد للآخرين هو الذي يحدد علاقته معهم**(خالد حامد: 1429هـ-2008م، ص122)**، ويشير التفاعل الرمزي إلى التفاعل الذي يأخذ مكانه بين الأفراد من خلال الرموز، ومعظم هذا التفاعل يحدث على أساس الاتصال القائم وجها لوجه، كما يمكن حدوثه

---

* - تأثرت التفاعلية الرمزية بالتراث الفلسفي الفينومينولوجي وهناك من الباحثين من يعتبرها صورة من صور الفينومينولوجيا (أحمد زايد، 1984، ص418).

** - حركات الفكر في القرن التاسع عشر، فلسفة العقل، (آلان سوينجوود، ب.ت، ص332)

بأشكال أخرى مثل: الاتصال الرمزي بين القارئ والمؤلف عند القراءة، وأيضا عند الالتزام بالإشارة الضوئية أو مخالفتها.**(عامر مصباح:2010،ص247)**

تهتم التفاعلية بالقضايا المتصلة باللغة والمعنى وحسب "ميد" فاللغة "تتيح لنا الفرصة لنصل مرحلة الوعي الذاتي وندرك ذاتنا ونحسن بفرديتنا، كما أنها تمكّننا من أن نرى أنفسنا من الخارج كما يرانا الآخرون **(أنتوني غدنز: 2005، ص76)**.

وكان مفهوم "الذات" محور أساسي للتفاعل بالنسبة لـ "ميد" ورأى أن الذات إذا كانت تشكل مضوعها في ذاتها فهي تشكل أيضا بناء اجتماعيا والذي يبدو من إطار التجربة الاجتماعية، ثم تبدأ بخطى ثابتة في تزويد نفسها بالخبرات الاجتماعية. **(جمال محمد أبو شنب: 2002، ص202)**.

فتفسير "ميد" للذات هو تفسير اجتماعي نفسي، ذلك أن النفس البشرية تنشأ داخل المجتمع عبر عملية التفاعل الاجتماعي والخبرة الاجتماعية، فالنفس الإنسانية هي اشتقاق من المجتمع وتفاعلاته اليومية وأنها تتكون من عنصرين: الذات الفردية (استجابة التركيب العضوي لاتجاهات الآخرين)، والأنا الاجتماعي المؤلف من اتجاهات الآخرين التي تعلمها الفرد عبر عمليات التنشئة الاجتماعية ومنبهات التفاعل الاجتماعي. **(عامر مصباح: 2010، ص 252-253)**.

وعموما فتصور ميد للعملية التفا[illegible] الشكل التالي:

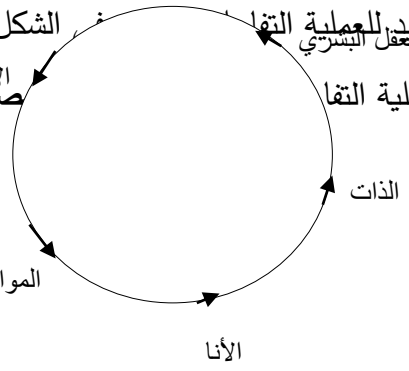

شكل رقم(01): العملية التفا[illegible] **صدر: (معن خليل عمر: 1978، ص73)**.

وأن تطور النفس البشرية يكون عبر ثلاث مراحل: **(معن خليل عمر:1978، ص73-74)**.

أ- مرحلة التقليد الأولية: بعد العام الثاني من عمر الطفل يقوم فيها بمحاكاة وتقليد بعض أدوار المحيطين به وعي محدودة جدا.

ب-مرحلة التقليد الثانوية: تبدأ بعد السنة الثالثة، وتشع فيها دائرة التقليد (المعلم، الصديق...).

ج- مرحلة الاهتمام بقيم ومواقف وأعراف المجتمع المحلي الذي يعيش فيه الفرد ويزداد فيها الاهتمام بالضوابط الاجتماعية.

وقد شارك "شالز هورتن كولي Charles Horton Cooly "ميد" الاهتمام بتشكل الذات ونموها وأنها حصيلة التفاعل مع الآخرين على رأسهم الجماعات الأولية، فالطفل يرى نفسه من خلال رؤية الآخرين له ويقوم بملاحظة وتأويل استجابات الآخرين، فتتكون لديه صورة للذات، وينطلق في هذا من أهمية الآخر للفعل، وهذا ما أطلق عليه "المرآة العاكسة" وكأن الآخرين مرآة لرؤية الذات. **(ياس خضير البياتي: 2002، ص187)**.

وقد علق "ميد" على إسهام "كولي" بقوله: «لقد كان منهجه منهجا استبطانيا يعترف بالعقل كمحل أو مكان للذوات التي تؤثر في بعضها البعض...». **(آلانسوينجوود:ب.ت، ص333)**.

وكتاب "بلومر" منظور ومنهج التفاعلية الرمزية (1969)، كان فيه انتقاد للتحليل الاجتماعي القائم على أساس تحليل العلاقة الترابطية الكمية من المتغير المستقل والمتغير التابع لأن هذا التحليل خاص بالعلوم الدقيقة ولا يمكن نقله بحذافيره إلى علم الاجتماع، بل يخضع للتعديل بما يتناسب وطبيعة الظواهر الاجتماعية، وأن أفضل منهج للباحث الاجتماعي في اكتساب المعرفة هو العمل على فهم العالم بنفس الطريقة التي يفهمه بها الأشخاص الذين يقوم بدراستهم، كما يجب عليه أن يكون مستعدا للعيش معهم في كل جانب من جوانب نظامهم اليومي ويُعِّد نفسه للخبرات التي يواجهونها. **(عامر مصباح: 2010، ص260)**.

3-الأطر المرجعية للنظرية:

في نهاية الخمسينيات كانت السوسيولوجيا الأمريكية تحت هيمنة نهجين، فمن جهة أولى، النظرية البنيوية-الوظيفية لتاكولت بارسونز، ومن جهة أخرى السوسيولوجيا التكميمية والإحصائية لبول لازار سفيلد"، وبشكل جزئي وكرد على الهيمنة المزدوجة، ستنبعث مدرسة شيكاغو ثانية من رمادها. **(فيليب كابان، جان فرانسوا دورتيه: 2010، ص115)**.

وعرّف "أنتوني جينز" التفاعلية الرمزية بأنها: "تعنى بالقضايا المتصلة باللغة والمعنى" **(خالد حامد: 1428هـ-2008م، ص122)**.

4-وحدات التحليل لدى التفاعلية الرمزية:

تتلخص وحدات التحليل في النظرية التفاعلية الرمزية فيما يلي:

- مفهوم التفاعل الاجتماعي، المعاني الرمزية، التوقعات الاجتماعية، الرموز، الرمز المهم، الجماعة المرجعية، الدور الاجتماعي، التماثل،الذات، الأنا الاجتماعي، النفس البشرية، التنشئة الاجتماعية، التحلل الاجتماعي، التنظيم الاجتماعي، المنزلة الاجتماعية، المهن، تفضيل التعميمات الشكلية، إظهار العقلانية، تحديد الموقف، الأخذ بوجهة نظر الفاعل، المجتمع باعتباره نظام للتفاوض. **(عامر مصباح: 2010، ص ص 274-277)**.